اللسانيات وفلسفة اللغة

أ/ فريدة بن فضة
جامعة تيزي وزو

مقدمة: تعدُّ اللسانيات نقطة تحول في الدراسات اللغوية بشكل عام ، ومنعطفا أساسيا في الفلسفة المعاصرة بشكل خاص ، وهذا التحول الهام مرده إلى أنَّ سوسير أعاد النظر في القناعات أو المعتقدات التي سادت في الفترات السابقة سواء تعلق الأمر بالعهود القديمة حيث طغت المفاهيم الفلسفية والمنطقية ، أو في العهود التالية لها لا سيما في القرن الثامن والتاسع عشر حيث اهتم العلماء بمقارنة اللغات وتطورها. ومثلت اللسانيات شكلا من أشكال عودة اللغة في الفلسفة المعاصرة ، وذلك لما تتميز به من خصائص علمية وتطبيقات ميدانية مكنتها من أن تكون نموذجا علميا ومنعطفا لغويا مقارنة بالتحليل المنطقي. لذا نجد من يفترض وجود فلسفة اللسانيات تقوم بتحليل مبادئ وقواعد ومناهج اللسانيات كما تناقش هذه الفلسفة القضايا والموضوعات الخلافية بين المدارس اللسانية المختلفة. وعليه ، من الطبيعي ، بل من الضروري ، أن يطرح سؤال العلاقة بين فلسفة اللغة باعتبارها تفكيرا فلسفيا في اللغة والعلوم اللغوية المختلفة ، وإن كان من غير الممكن منهجيا تقصي جميع العلوم اللغوية ، فإنَّ من المهم أن نبين علاقة العلوم اللغوية بفلسفة اللغة وبالمنعطف اللغوي وخاصة في صورتها البنيوية.

فلسفة اللغة والاتجاه التحليلي: لقد تبلور مضمون فلسفة اللغة ضمن سياق الفلسفة التحليلية من خلال أعمال فريجه في المنطق وما عرفه من تطورات ، وفلسفة نيتشه وما عرفه من تحولات ضمن سياق الوجودية والتأويلية ، وكذلك الدراسات اللسانية[1] ، إلاَّ أنَّ هناك من يعتقد أنَّ فلسفة اللغة قديمة قدم الفلسفة وترجع إلى مختلف الآراء الفلسفية التي قيلت حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع والتي نقرؤها في نصوص أفلاطون وأرسطو والفارابي وديكارت ولوك... ، وعلى الأرجح على أنَّ هذا الرأي يجعل من فلسفة اللغة جزءا من الفلسفة العامة للفيلسوف ولا يعطيها المكانة الخاصة التي أصبحت تتمتع بها في الدراسات المعاصرة.

ولذا ترى أنَّ هناك من يقتصر فلسفة اللغة على التيار التحليليي وهو الرأي الذي يمثله لنا الفيلسوف (Diogo marconi) في كتابه الموسوم "**فلسفة اللغة في القرن العشرين**" إذ يؤرخ لها بداية بأعمال الفيلسوف والرياضي فريجه(G. Frege) ثمّ راسل(B. Russell) وفتجنشتين

(L.Wittgenstein) وكارنب (R. CARNAP)، مشيرا بذلك أنَّ مبحث فلسفة اللغة معاصر، كما يعدُّ النموذج المهيمن على المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، وذلك لأسباب وعوامل منها: استعمال المنطق الرياضي واتخاذ موقف تجريبي جذري، والسعي نحو إنشاء لغة عالمية صورية واصطناعية[2]، وهكذا شكلت الفلسفة التحليلية طريقة جذرية في الممارسة الفلسفية الحديثة والمعاصرة، وحولت موضوع الفلسفة برمته إلى موضوع خاص باللغة. وهذا ما يبدو أيضا من الضبط القاموسي لمصطلح فلسفة اللغة وربطه الوثيق بينه وبين الفلسفة التحليلية، والتي يوصف أصحابها بفلاسفة اللغة، حيث يجمع هؤلاء على أنَّ الفلسفة ما هي إلاَّ بحث وتحليل لغوي وتوضيح للمعنى، وذلك بالعناية بفهم بناء اللغة عن طريق الدراسة الدقيقة لعناصرها، والعلاقات التي تقوم بين هذه العناصر، لا لصياغة فروض علمية تتعلق باللغة بل لتوضيحها وإزالة الغموض الذي ينشأ من استخدامها. إلاّ أنَّ القاموس الموسوعي لعلوم اللغة يؤطر لنا مصطلح فلسفة اللغة في معنيين هما[3]:

- **معنى خارجي:** يعتبر اللغة موضوعا معروفا، ولذا وجب دراسة علاقته بالموضوعات الأخرى مثل علاقة اللغة بالفكر، وهذا ما يطبع أعمال الفلاسفة المثاليين مثل برنشيفك في كتابه مراحل الذكاء الصادر عام 1974، أو برغسون في كتابه التطور الخلاق الصادر عام 1907، أو يبحث في دور اللغة في التاريخ، وهذا يظهر في أعمال المدرسة الألمانية في القرن التاسع عشر، وخاصة في أعمال هيجل وشلايشر.

- **معنى داخلي:** يجعل هذا التوجه من اللغة مجالا للبحث وموضوعا للدراسة هذا التوجه تعكسه أساسا الفلسفة التحليلية التي أطلقت على نفسها اسم الفلسفة اللغوية أو فلسفة اللغة أو فلسفة التحليل، وجعلت من اللغة موضوعا للفلسفة.

وما يبدو واضحا من خلال هذا التأريخ لفلسفة اللغة المعاصرة هو اعتبار هذه الأخيرة (فلسفة اللغة المعاصرة) جزءا لا يتجزأ من الفلسفة التحليلية، إذ تمّ على ضوئها إعادة طرح مجموعة من الأسئلة التي تتعلق باللوغس، اللغة والفكر، الدلالة والحقيقة، القول والفعل ويمكن تصنيف هذا التحليل إلى نوعين صوري مثالي(idéal formel) وعادي غير صوري(ordinaire informel) وذلك وفق الخطاطة الشكلية التي يجسدها لنا (Denis Vernant) في كتابه" مدخل إلى الفلسفة المعاصرة للغة، من اللّغة إلى الفعل"[4]

شكل رقم1 : فلسفة اللغة

فلسفة حول اللّغة	**فلسفـــة**	فلسفة اللّغة	
هوسرل- هيدجر سارتر -غادمير جاك ديريدا	مثالي صوري فريجه - رسل فتجنشتين1 - كارنب	عادي غير صوري بيرس - فتجنشتين2 أوستين - سورل	

وتبين هذه الخطاطة تصنيفين يتعلقان بالفلسفة المعاصرة للغة ، حيث يتمثل الصنف الأول في الفلسفة حول اللغة ، ويمثل لها (دوني فرنان) (Denis Vernant) بأبحاث الفلاسفة أمثال هوسرل (Husserl) وهيدجر (Heidegger) سارتر(Sartre) غادمير(Gadamer) وجاك ديريدا (Derrida).. ، ويتعلق الصنف الثاني بفلسفة اللغة والذي بدوره يتفرع إلى فرعين ويتحدد النوع الأول منهما في التحليل الصوري والذي يستلهم أدواته الإجرائية من التحليل المنطقي عند كل من فريجه وراسل[5] ، وفتجنشتين الأول ويتحدد النوع الثاني في التحليل غير الصوري مع أبحاث فتجنشتين الثاني وأوستين ، وجورج مور. وقد نتج عن الصنف الثاني من فلسفة اللغة والذي يتعلق بالاتجاه التحليلي مجموعة من النظريات: النظرية الوصفية لراسل ، النظرية التصويرية لفتجنشتين الأول ،

نظرية الاستعمال أو الألعاب لفتجنشتين الثاني ، ونظرية أفعال الكلام لأوستين وسورل.

إنَّ أهم ما جاءت به فلسفة اللغة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين هو تغيير النظرة إلى المنطق على أنَّه لغة تمكن من الوصول إلى إدراك الكون ، وليس فقط على أنَّه حساب ، وهذا الأخير لا يقوم على المنطق باعتباره لغة العقل الخالص التي تعبِّر عن جوهرها وتحدِّد وجودها بملاءمتها للقوانين المنطقية ، ولا يمثل المنطق هنا إلاَّ تقنية وقع اكتسابها عبر العصور تقوم على تخصيص بعض عبارات اللغة اليومية ، بل لا يمكن تصور وجودها خارج حدود اللغة العادية ، فاللغة هي التي توفر ظروف قيام الحساب بتوفير آليات بنائها. وفي الحقيقة ، هناك ثلاثة توجهات كبرى في فلسفة اللغة أثَّرت خلال هذا القرن على المواقف التي دافع عنها الفلاسفة التحليليين في فلسفة المنطق ويمكن توضيح ذلك حسب المخطط التالي:

شكل رقم2 : اتجاهات فلسفة اللغة في ضوء فلسفة المنطق

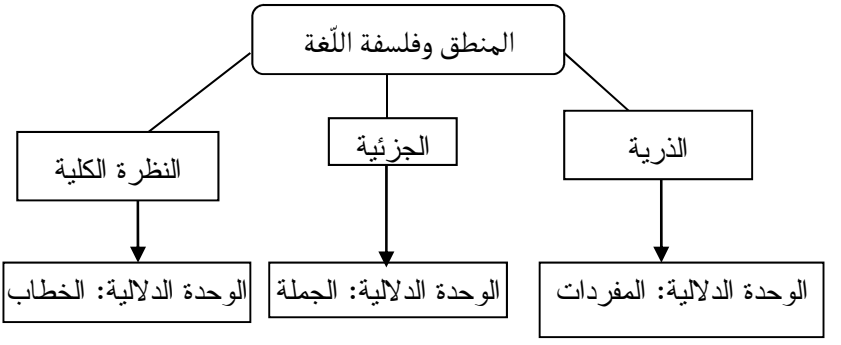

حيث يفترض هؤلاء الفلاسفة مسبقا إحدى هذه المقاربات التالية:

الذرية(atomisme) والجزئية(molécularisme)، والنظرة الكلية(holisme) وتتأسس هذه المفاهيم الثلاثة على ثلاثة أشكال للتعبير عن الوحدة الدلالية التي هي أساس كل لغة.[6] ويمكن توضيح هذه التوجهات استنادا على الأبحاث اللغوية التي قام بها مجموعة من الفلاسفة:

1- الذرية: وتتمثل الوحدة الدلالية هنا في الكلمة، بما أنها منعزلة فهي دلالة خارج لسانية، ونمثل لهذا التوجه غوتلب فريجه وبرتناند راسل ولدفيك فتجنشتين الأول.

2- الجزئية: بالنسبة للجزئية فالجملة هي المحرك الأول للدلالة بما أنَّ اللغة محمولة على نظام من القواعد الدلالية المتفق عليها، وأنَّ القواعد يعبَّر عنها بواسطة الجمل، فهذا يقود بنا إلى التفكير إذن في رودولف كارنب أو لودفيك فتجنشتين الثاني أو ميشال دومت(Michel Dummet).

3- النظرة الكلية: بالنسبة للنظرة الكلية فإنَّ الوحدة الدلالية الأساس هي الخطاب بما أنَّ دلالة الكلمة تعطى من المجموع بالنظر إلى الكل، وبإمكاننا أن نذكر أمثال هذا التوجه كواين(W.v.QUINE) ودافدسن(Davidson Donald) وبوتانم(Hilary Putnam).

وهكذا تكون فلسفة اللغة -حسب التوجه التحليلي- قد عرفت نقلة نوعية نتيجة التطور الحاصل في المنطق الرياضي وهو الذي أدى إلى بروز رأي يدافع عن فكرة أنَّ فلسفة اللغة فرع فلسفي، أي أنَّه مبحث مستقل له موضوع خاص به هو اللّغة، منظور إليه من الزاويتين الفلسفية والمنطقية معا. يحصر هذا التوجه التحليلي فلسفة اللغة في أعمال الفلاسفة والمناطقة، وقد أدى ذلك إلى عدم الفصل الشامل في طبيعة اللغة الإنسانية، ولذا نرى أنَّ

فلسفة اللغة اليوم لا بدَّ أن تستعين باللسانيات وما حققته من نتائج علمية في تفسير الألسنة الطبيعية.

إنَّ كل معرفة يمكن أن تدرك بوصفها جوابا عن مسألة أو عن سؤال لكن هنالك أسئلة يمكن أن تصاغ بطريقة تؤدي إلى الحصول على جواب مقنع وعلى جواب واحد(وهو جواب يمكن أن يكون سلبيا) في حال طبقنا عليها مبدءا محددا في عدد معين من المراحل ، وبذلك نحصل حلى ما تتسم به المعرفة الوضعية من ثبات (وهو ثبات نسبي). وهنالك كذلك أسئلة يمكن أن تكون الأجوبة عنها متعددة ، لا لأنَّ هذا الأمر يكمن في طبيعة هدفها النهائي إذ من الممكن أن تكون مطروحة طرحا سيئا ، ولكن لا تقدم على الأرجح صياغتها كل العناصر الضرورية لمعالجتها ، فنحصل على أجوبة مختلفة في حال أعدنا صياغته بهذه الطريقة أو بتلك.

هذه الأسئلة غير المشبعة -على حدِّ تعبير سيلفان أورو-[7] التي علينا أن نكملها بمساءلات تغير كلُّ واحدة منها في طبيعة الأجوبة الممكنة ، هو من عمل الفيلسوف ، لا العالم ، وفي الأخير ليس هناك من اختلاف في الطبيعة أو الهدف بين اللسانيات كعلم والفلسفة ، ولا وجود فاصل بينهما ، هناك مكان لعمل الفلسفة طالما أنَّ المعرفة قابلة لأن تتطور.

فلسفة اللغة والاتجاه اللساني: وفي مقابل التصور التحليلي لفلسفة اللغة هناك معنى خاص ينطلق من تحديد مجال معين ومنهج محدد ، وبالتالي لا يدخل في فلسفة اللغة إلاَّ الدراسات التي تستوفي هذه الشروط. ويتمثل أساسا في التوجه اللساني الذي اختزل فلسفة اللغة على أعمال اللسانيين ، وهذا ما عبر عنه اللساني الدانمركي لويس هلمسيلف (Louis Hjelmslev): "يجب أن نبتكر علما لا يكتفي بأن يمثل اللغة ككتلة من العناصر المنطقية والتاريخية والفيزيولوجية والفيزيائية والنفسية والاجتماعية ولكن يتصور قبل كل شيء اللغة في ذاتها كوحدة مستقلة وككل من طبيعة متميّزة"[8] ، ويرى سيلفان أور (Sylvain Auroux) أنَّ هذا التوجه يحصر فلسفة اللغة في المقاربة اللسانية أو البنيوية بالتحديد ، أي ما يعرف باللسانيات العامة التي أسسها فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وبالتالي فإنَّ فلسفة اللغة الحقيقية حسب هذا التوجه لا تكون إلاَّ كذلك ، لأنّها تهدف إلى إرجاع تعدد المعارف الوضعية (العلمية) عن اللغات الإنسانية لعدد محدد من المبادئ الحازمة والأكيدة[9] ، ولكي تندرج أي دراسة حسب هذه المقاربة ضمن فلسفة اللغة يجب عليها أن تفي بالشرطين التاليين:

- "أن تنبع الأسئلة والمشاكل التي تطرحها من الحقل المعرفي الوضعي أي من المعارف العلمية التي تقدّمها اللسانيات.

- أن تحترم الأجوبة المقدمة وضعية هذه المعارف (أي عملية هذه المعارف) ولا تقطع الصلة بها"[10].

فلا بدَّ إذن أن تنطلق أسئلة هذه الفلسفة من اللسانيات ، كما أنَّ الإجابات التي تعثر عليها لا تقطع الصلة بالمعرفة اللسانية.

يمكن أن نطلق تسمية فلسفة اللسانيات على هذا التوجه ، وبالتالي لا يمكن أن تفهم هذه الفلسفة إلا من منطلقات لسانية ، أي لكي نجد حلولا لمختلف القضايا والأسئلة الفلسفية لا بدَّ من الاستعانة بنتائج اللسانيات ومفاهيمها ومناهجها ، وهو الأمر الذي تبناه كلّ من جيرود كاتز(Jerrold Katz) ووجيري فودور (Jerry Fodor) في كتابيهما "فلسفة اللغة" حيث يحددانها بما يلي: "فلسفة اللغة حقل يضم مجمل الأبحاث الفلسفية المتعلقة بالمعرفة المفاهيمية بدل اعتبارها فرعا للفلسفة المعاصرة كفلسفة الرياضة أو فلسفة الفن ... فمجمل هذه الأبحاث تسعى إلى إقامة ما يمكن معرفته من هذه المعرفة المفاهيمية قياسيا لما نعبر عنه ونبلغه باللغة"[11]، ويرى "جوزيف سمف" (Joseph Stumpf) أنَّ هذا التصور لفلسفة اللغة يأخذ توجهين:

- "إنَّ فلسفة اللغة تكمن في تحليل التصورات والمناهج اللسانية
- إنَّ فلسفة اللغة تستعين باللسانيات لحلّ المشاكل الفلسفية ، ومثال ذلك لو تساءلنا عن مشكلة التحقق ، فلا يمكننا فعل ذلك إلاَّ من خلال التأكد من التركيب النحوي للجمل"[12].

لقد تأثر هذا التوجه بأعمال اللساني الأمريكي ناعوم تشومسكي (Noam Chomsky) الذي طرح نظرية نحوية جديدة والمتمثلة في النحو التوليدي ، ولم تقتصر أبحاثه على المجال النحوي بل طرح قضايا متنوعة منها محاولة إثبات وجود قدرة فطرية لتعلم اللغة ومشروع النحو العالمي وإبداعية اللغة ، ذلك أنّه جمع بين البحث العلمي وبين الطرح الفلسفي للكثير من القضايا الفلسفية واللغوية.

إنَّ هذا التماهي بين فلسفة اللغة واللسانيات لا يوافق عليه بعض الفلاسفة ذلك أنَّ فلسفة اللغة لا تقتصر على تنسيق وتنظيم مجال بحث العلوم الإمبريقية للغة ، أو تركيب نتائجها ، إنَّما تخضع أسئلتها لطبيعة اللغة وعلاقتها بالفكر والحقيقة ، فضلا عن ذلك فإنَّ الفيلسوف سيلفان أورو يشك في قدرة اللسانيين الفلسفية ، فقد ذكر في أحد اللقاءات

الصحفية لمجلة العلوم الإنسانية التعليق التالي على برنامج تشومسكي: "هناك عدد من الأخطاء في برنامج تشومسكي تعود إلى تكوين سيئ في الفلسفة إنَّ تشومسكي لساني كبير لكنه ليس فيلسوفا جيدا"[13]، فبرنامج اللسانيات يبحث في طبيعة اللغة ويستبعد بعض القضايا الفلسفية كأصل اللغة ونشأتها.

خاتمة:

إنَّ البحث اللساني يتطلب اليوم أكثر من أي وقت مضى سلامة ابستمولوجية قوية. وهنا يمكن أن نقول بدون محاباة، إنَّ اللسانيات في حاجة إلى فلسفة، وذلك بنفس الصرامة التي ذكرنا بها بأنَّ فلسفة اللغة في حاجة اليوم إلى تكوين لساني متين[14]، ذلك أنَّ الفكر البشري لا يتوقف عند حدود معرفية مهما بلغت من الكمال، وليس تطور الفلسفة في تاريخ البشرية سوى أفضل مثال على ذلك، لذلك، لا يمكن أن نعتبر أنَّ التفكير اللغوي قد توقف مع صعود اللسانيات وهيمنتها على الفكر البشري في العلوم الإنسانية، فالإنسان لم ينقطع عن التفكير منذ بدايات التواصل اللغوي إلى أيامنا هذه، وهو لن يتوقف.

الهوامش:

1- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، بيروت: 2005، دار الطليعة ص196.

2 - DIOGO MARCONI, la philosophie du langage au XX^{ème} siècle, Tr : MICHEL Valensi Paris : 1997, l'éclat, p15-40.

3- Oswald Ducrot & Tzveten Todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage seuil, paris 1972, article philosophie du langage.

4- Denis Vernant, introduction a philosophie contemporaine du langage, du langage a l'action (2010), Armand colin, Paris, p24.

5 - Denis Vernant, Introduction a la philosophie contemporaine, P32.

6-Michel Seymour et Mathieu Marion, Philosophie de la logique et mathématiques, dans : Pascal Engel, Précis de la philosophie analytique, Paris : 2000, presses universitaire de France p120.

7- سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، ط:1. بيروت لبنان: 2012 المنظمة العالمية للترجمة، ص17.

8 - Louis Hjelmslev ; Le langage, Paris ; 1966, édition de minuit, p25.

9 - Sylvain Auroux, La philosophie du langage, Paris ; 1996, presse universitaire du France, p7.

10 - Ibid, P7.

11 - Jerrold Katz & Jerry Fodor, the philosophy of language, Harper and row, New York et lenders, 1966, p4.

12 - Joseph Stumpf, « a propos de la philosophie du langage » Langage, 1971, Volume 6 numéro21, p11.
13 - Sylvain Auroux, « le langage n'est pas dans le cerveau » sciences humaines, n° 27 1999/2000 p20-21-21-22.
14- محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي ، اللغة دفاتر فلسفية ، المغرب:2005 ، دار توبقال للنشر ، ص13.